

عقود الجمان فى شعراء هذا الزمان

لابن الشعّار

د. خورشيد الرضوى

ان فن تراجم الرجال فن امتاز به المسلمون وفادرا فيه جميع أمم العالم . وتفرّعت عن هذا الفن كتب الطبقات فى شتى مجالات الحياة فحفظت لنا أخبار ألوف من الرجال والنساء، من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء والملوك والقضاة وقواد العساكر وغيرهم حتى حولت علم التاريخ من التسجيل المجرد الى تصوير دقيق لملامح الأمة عبر العصور . ولما كان أسلوب هذه الكتب أسلوبا شاملا لا يكاد يتقيّد بحدود معيّنة ، كان نفعها أعمّ وأعظم لأنّ الموضوعات فيها يتشابه بعضها فى بعض . فيمكن، مثلا، أن نعثر خلال كتاب يبحث فى أحوال المحدثين على مايلقى ضوءا على أسرار الأدب واللغة أو نجد فى كتب طبقات النحاة فوائد فى علوم القرآن والحديث أو فى كتب طبقات الشعراء أخبارا نادرة قد تُنير الضباب المتراكم حول بعض الحوادث التاريخية الى غير ذلك مما لايسع هذا المقام سرده . ولا يخفى ما لمثل هذه الآثار من قيمة فى سبيل الكشف عن نسيج الحضارة الاسلامية . ومن هذا التراث القيم كتاب ,,عقود الجمان فى شعراء هذا الزمان,, الذى نحن بصدده فى هذا البحث والذى له شأن ممتاز بين كتب طبقات الشعراء .

وهذا الكتاب ، كما ذكرنا فى البحث السابق (١) هو أبرز أثر من آثار ابن الشعّار، يُعرف به بين أصحاب العلم كـ ,,صاحب/مؤلف/مصنّف عقود الجمان,, (٢). وقد اتّضح ممّا سبق أنّه يشتمل على تراجم الشعراء الذين ماتوا بعد السّتمائة للهجرة . أما من كانت وفاته قبل السّتمائة فقد ذكره فى كتابه الآخر، ,,تحفة الوزراء,, -وهو، كما سبق، ذيل على معجم المرزبانى. فكأنّ ,,عقود الجمان,, ذيل على هذا الذّيل . وكذلك وصفه ابن الشعّار فى مقدّمة الكتاب، فقال :

,,وجعلته له كالذّيل، وأجريته فى ذلك السيّل وكلته بذلك الكيل، اذ هو قطرة من حياضه وزهرة من رياضه,, (٣).

ويوجد فى هذه المقدّمة تعريف جامع بالكتاب وموضوعه ومنواله الذى نُسج عليه فلترأجّع (٤) - كما أنّنا سنفضّل فيه القول بعض التفصيل .
اسم الكتاب :

لعلّ أوّل من ذكّر كتاب ,,عقود الجمان,, -دون أن يحدّد له اسما، هو ابن المستوفى، حيث قال فى ترجمة ابن الشعّار :
,,ألّف كتابا، جمع فيه من الشعراء ما وصلّه ذيلُه على كتاب المرزبانى,, (٥) .

ولعلّ السبب فى عدم تحديد الاسم هو أنّ الكتاب لم يتمّ تأليفه إلاّ فى حدود سنة ٦٥٠ هـ، وابن المستوفى توفّى سنة ٦٣٧ هـ .
ثمّ نجد الاحالة على هذا الكتاب، كذلك دون تحديد الاسم، فى ,,المغرب,, لابن سعيد فى ترجمة أحمد بن مسعود بن محمّد الخزرجى القرطبى، قال :

,,ثمّ وقفت على ذكره فى خطّ الكمال ابن الشعّار المؤرّخ موصوفا بالتفنّن فى العلوم الكثيرة وأنه صنّف كُتبا فى الطب والنحو ...,, (٦)

ثم كرّر ابن سعيد نفس الاحالة في ترجمة نفس الرجل في كتابه الآخر،
 ,,الغصون الياضة“. . وهنا سمى الكتاب ,,معجم ابن الشعّار“, قال :
 ,,وقفت على ترجمته في ,,تأريخ ديسر“ لعمر بن الخضر التركي
 وفي ,,تأريخ حلب“ لابن العديم وفي ,,معجم ابن الشعّار“,
 وكلهم أظن في الثناء عليه وترجم عما لديه ...“ (٧)

وقال أيضا في نفس الترجمة :

,,وأشده له ابن الشعّار في معجمه :

ياظبي سنجار أما ترثي لمن

قد صار من أجلك في كفّ الأجل

قد كان مشغولا بدرس علمه

فاليوم لا علم بقى ولا عمل“ (٨)

وطلبنا ترجمة أحمد بن مسعود المذكور في مخطوطة ,,عقود الجمان“, (٩)
 ثم قمنا بالمقارنة بينها وبين ما اقتبسناه آنفا من كتاب ,,المغرب“,
 و ,,الغصون الياضة“. . فوجدناها توافق ما نقله ابن سعيد. فعلمنا أنّ
 المراد عند ابن سعيد ,,بمعجم ابن الشعّار“ هو ,,عقود الجمان“, لا غير .
 وقد ذكرنا فيما سبق أنّه يكاد يغلب على الظنّ أحيانا أنّ المراد
 ,,بتذكرة ابن الشعّار“, و ,,تأريخ ابن الشعّار“, أيضا هو كتاب ,,عقود
 الجمان“. . ولعلّه اشتهر بهذه الاسماء المختلفة قبل أن يتعيّن له اسمه
 الخاصّ .

أما اسم الكتاب الرّسمي فهو ,,قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا
 الزّمان“, كما صرّح به ابن الشعّار في مقدّمته حيث يقول:

,,وقد وسمتُ هذا الكتاب ,,بقلائد الجمان في فرائد شعراء هذا
 الزّمان“, أعني بذلك زماني ومن أدركه من الشعراء عياني“ (١٥)

ووجدنا ذكر الكتاب بهذا الاسم عند الحافظ الذهبي في تاريخ الاسلام مرتين . مرة في ترجمة عمر بن القاسم بن مفرج التكريتي، حيث أحال عليه بقوله :

ذُكر في ,,قلائد الجمان,, (١١) .

وأخرى في ترجمة ابن المستوفى حيث يقول :

,,قال ابن الشعار في كتاب ,,قلائد الجمان,, بعد أن بالغ في وصف الصّاحب أبي البركات وفضائله ومكارمه ...,, (١٢) .

كما أن حاجي خليفة أيضا أشار الى هذا الاسم في غاية الايجاز بقوله :
,,قلائد الجمان في الأدب - لابن الشعار,, (١٣) .

ونجد كذلك عند خاتمة الجزء السادس والجزء السابع من مخطوطة ,,عقود الجمان,, قوله: ,,ثمّ الجزء السادس من قلائد الجمان,, (١٤) و ,,ثمّ الجزء السابع من قلائد الجمان,, (١٥) .

على أن الاسم الأشهر للكتاب هو ,,عقود الجمان في شعراء هذا الزمان... ولعلّه كان قد غلب على الاسم الرّسمي وابن الشعار لا يزال حيّا . لأنّ النسخة الخطّية الوحيدة التي وصلت اليها تحمل نفس الاسم . ولما كان خطأ ابن الشعار موجودا على هذه النسخة (بل نظنّ بعض أجزائها كاملة بخطّه) فمن الواضح أنّه وافق على هذا الاسم . ثم اختار هذا الاسم جُلّ أهل العلم الذين جاءوا على إثره . وربما يحذفون كلمة ,,هذا,, من الاسم الكامل فيقولون ,,عقود الجمان في شعراء الزّمان,, . أو يكتفون ,,بعقود الجمان,, فقط . أمّا الاستاذ بروكلمان فقد جاء في تسمية الكتاب بمزيج غريب اذ جعله :

,,عقود الجمان في فرائد شعراء هذا الزّمان (المذيل على كتاب معجم الشعراء لمحمّد بن عمران المرزباني) ,, (١٦) .

وهو بين التخليط لأنّ المذيل على كتاب المرزبانى اتما هو كتاب ابن الشعار الآخر أى ,,تحفة الوزراء,, وقد مضى ذكره . وأمّا الاسم فقد خلط فيه بين الاسم الرسمى والاسم الشائع بايراد كلمة ,,فرائد,,.

وكذلك وقع اللبس فى ,,دائرة المعارف ,, حيث صار الاسم:
,,عقد الجمان فى شعراء الزّمان,, (١٧) .

أمّا صاحب ,,هدية العارفين,, و صاحب ,,معجم المؤلفين,, فقد وقعا فى لبس أشدّ اذ قد جعلوا ,,عقود الجمان فى شعراء هذا الزّمان,, و ,,قلائد الجمان فى فرائد شعراء هذا الزّمان ,, كتابين مستقلّين (١٨) .

نظرة خاطفة على تأريخ هذا الاسم :

انّ فكرة ,,العقود,, و ,,القلائد,, و ,,الفرائد,, و ,,الجمان,, فى تسمية الكتب كثيرة الشيوخ مألوفة لدى عدد كبير من المصنّفين القدماء والمحدثين .

فوجد مثلا، فى ,,كشف الظنون,, اسماء ٦٠ كتابا باسم ,,العقد,, أو ,,العقود,, مثل ,,عقد اللآلى,, و ,,عقد القلائد,, و ,,عقود الجواهر,, و ,,عقود الزّبرجد,, فى جملتها كتابان باسم ,,عقد الجمان,, وسبعة باسم ,,عقود الجمان,, (١٩) و ١٨ كتابا باسم ,,القلادة,, أو ,,القلائد,, ,,كقلائد الفرائد,, و ,,قلائد عقود الدرر,, و ,,قلائد المرجان,, فيها كتابان باسم ,,قلائد الجمان,, (٢٠)

ونجد فى ,,ايضاح المكنون,, ٣٠ كتابا، يسمّى كلّ واحد منها ,,القلادة,, أو ,,القلائد,, (٢١) ، و ١٢٧ كتاب يعرف باسم ,,العقد,, أو ,,العقود,, منها ستة باسم ,,عقود الجمان,, وكتابان باسم ,,عقد الجمان,, (٢٢) .

وذكر صاحب ,,معجم المطبوعات,, ٥٦ كتابا باسم ,,العقد,, أو ,,العقود,, اسم أربعة منها ,,عقد الجمان,, واسم واحد ,,عقود الجمان,, (٢٣)

و ١٨ كتابا باسم ,,القلادة,, او ,,القلائد,, ، واحد منها ,,قلائد الجمان,, (٢٤) .

ولعلّ أول من ابتكر هذه الفكرة هو أحمد بن محمد بن عبد ربّه (م ٣٢٨ هـ)، صاحب ,,العقد الفريد,, جزّاه على ٢٥ كتابا وسمّى كلّ كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد، ومن معاصريه محمّد بن أبي جعفر المنذرى (م ٣٢٩ هـ) صاحب ,,نظم الجمان,, (٢٥) ثم تبعهما على بن محمد، ابن الكوفى (م ٣٤٨ هـ)، صاحب ,,الفرائد و القلائد,, (٢٦) . فى اللّغة وابن القطّاع على بن جعفر الصقلّى (م ٥١٤ هـ) ، سمّى كتابا له فى الاشعار ,,فرائد الشّدور وقلائد النّحور,, (٢٧) والفتح ابن خاقان (م ٥٣٥ هـ) ، صاحب ,,قلائد العقيان ,, وهو معروف وأبو الحسن على بن زيد البيهقى (م ٥٦٥ هـ) صاحب ,,عقود اللآلى (٢٨) وغيرهم .

ثم جاء على إثر هؤلاء صاحبنا ابن الشعّار فسّمى كتابه ,,قلائد الجمان,, فاشتهر باسم «عقود الجمان» ولعلّه قد تأثر به من جاء بعده فشاع هذا الاسم شيوعا وهاك بعض الاسماء البارزة من هذه السلسلة على ترتيب العصور :

- (١) عقود الجمان فى تجويد القرآن (٢٩) .
- قصيدة نونية لبرهان الدين ابراهيم بن عمر الجعبرى (م ٣٢٢ هـ)
- (٢) عقود الجمان فى عقود الرهن والضمان (٣٠) .
- لتقىّ الدّين على بن عبدالكافى السبكي (م ٥٦٦ هـ)
- (٣) عقود الجمان فى ذيل وفيات ابن خلّكان (٣١) .
- لبدر الدّين الزّركشى (م ٩٤٧ هـ) .
- (٤) عقد الجمان فى تاريخ اهل الزّمان (٣٢) .
- تسعة عشر مجلّدا لبدر الدّين محمود بن أحمد العينى (م ٨٥٥ هـ)

- (٥) عقود الجمان فى المعانى والبيان (٣٣) .
 لجلال الدين، عبدالرحمن السيوطى (م ٩١١ هـ) .
 (٦) عقود الجمان فى مناقب ابى حنيفة النعمان (٣٤) .
 لمحمد بن يوسف الدمشقى الصالحى (م ٩٤٢ هـ) .
 (٧) عقود الجمان فى وصف نبذة من الغلمان (٣٥) .
 لابى العباس أحمد بن محمد الحلبي (م ١٠٠٣ هـ) .
 (٨) عقد الجمان اللامع، المنتقى من قعر بحر الجامع (٣٦) .
 نظم الفقيه محمد بن على الجزائرى (م ١٠٨٠ هـ) .
 واستمر شيوع هذه التسمية الى العصر الحديث، فقد ذكر سركيس
 كتاب «عقد الجمان فيما ينبغى اتخاذه لحفظ الأسنان» للدكتور امين
 بهيت، طبيب أسنان وجراح، المطبوع بمصر سنة ١٩٠٥ م (٣٧) .
 أهيمية الكتاب :

لعله لا يوجد اى أثر أشمل وأوعب من كتاب «عقود الجمان»
 يتناول الجانب الأدبى من حياة الأمة العربية فى النصف الأول من
 المائة السابعة اذ يحتوى على تراجم مفصلة لعدد كبير من الشعراء مع
 نماذج نتاجهم الأدبى الذى يضيئى لنا تطور الشعر و الميول الأدبية
 فى تلك البرهة من الزمن، اضاءة ربما لا ينافسها فيها أى كتاب آخر. ثم
 تشتمل هذه التراجم، فضلا عن أخبار الشعراء وأشعارهم، على نماذج
 قيّمة من النثر الفنى أيضا . كما أنها تحمل بين طياتها أخبارا متفرقة،
 وردت عرضا، تصوّر لنا شتى شئون الحياة اذ ذاك، أصدق تصوير
 وتفصلها أدق تفصيل، حتى انه ليرجى باحياء هذا الكتاب انجلاء بعض
 مالا يزال غامضا من أحوال ذلك العصر ومعرفة بعض الأعلام الذين
 لانكاد نعرف عنهم الا شيئا يسيرا، أو الذين عرفوا بغير الشعر وابن
 الشعار ذكرهم كشاعر مثل ابن خلكان، فنجد عنده من أخبارهم ناحية
 لانجدها فى المصادر الأخرى. كما ان ذكر عدد كبير من الكتب - خلال

صفحات، عقود الجمان، — قد يلقي ضوءا على كثير من المصادر الأخرى بل يُكمل أحيانا ما قد ضاع منها - أنظر مثلا ما نقل من تاريخ اربل لابن المستوفى في ترجمة الوزير أبي المظفر عبد الباقي بن محمد بن علي (٣٨).

ويليق هنا أن نذكر بيتين لأبي العباس، أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن هبة الله الموصلی، قرّظ بهما كتاب، عقود الجمان. قال ابن الشعّار في ترجمته :

«لم يكن يُؤثر اظهَارَ شئى من أشعاره ولا يسمح علىّ بها .
فحيث طالع هذا الكتاب، وتأمّله قراءة، شرفنى بيتين من قبّله
وهما :

[الكامل]

وجمعت أرباب الفضائل والنّهى
فى سيفرك الحسن الأنيق الكامل
وسلكت أجملَ مسلِكٍ فى رصفه
فوقيت لومَ العائب المتجاهلِ « (٣٩)
ومثل ذلك أبيات لمحمد بن سالم القبيصى الموصلی أثبتّها ابن
الشعّار فى ترجمته قال :

«وأنعمَ علىّ بهذه الأبيات قالها حين سمع أنّى قد أنزلته فى
كتابى هذا و أثنت عليه فسيرها الىّ :

[الخفيف]

يا فلان الدين الذى ساد اذ شا	دلأهل القريض ركن المعالى
والذى شاع ذكره العذب اذ ضا	ع لهم ما غدا به الفضل حالى
أى نحر خلا لغارة ؟ بحر	من معان قلّدت كلالسى
بمساع قد أعجزت كلّ ساع	ومعال من دونها كلّ عالى

غبرت حين حسرت حلال الآ داب في أوجه العصور الخوالي
 يا أجلّ الانام طرّاً محلاً وأحلّ الأنام في الإجلال
 كان ثغر القريض لولاك مشغو رالمباني وبال بانيه بالي
 ولعمري ما الرّوض راضته أيدي المـ وزن جودا بالوابل الهطّال
 بين دوح عليه للوؤوق نوح وظلال مشفوعة بظلال
 ونسيم الصّبا يهزّ قُدود المـ سبان تيه الصّبي بكف الدلال
 يرقص الدّوح كلّما صفق المـ ساء بها في الغدوّ و الآصال
 كطروس رقمتها بسطور الحمـ سد في وجنة العلا للجمال
 من كتاب جمعت فيه من الآ داب روح الألباب برّ المقال
 نصبتّه نعماك كعبة ذكر للمعالى على ممرّ الليالي
 فعليه صلاة كلّ صلوات واليه توجّه الآمال
 وله تسجد التصانيف من مذ هب أهل القريض في كلّ حال
 سيّما كلّما تلا الناس آيا ت معانيه في مجال جدال
 ولعمري تدلّ ؟ للأروع الأبـ ررع يوما إليه شدّ الرّحال
 وقريب كماله في معانيـ ه إذا كان نشو فكر الكمال (٤٠)

ويليق أيضا في هذا المقام ذكر ما قاله ابن الشعّار في ترجمة ضياء
 الدّين، ابن الاثير، من أنّه مع شراسة خلقه وضيق عطفه، استحسّن عناية
 ابن الشعّار بهذا الفنّ ووصفَ عمله، في هذا الصّدّد ، بعدم التقصير
 وذلك عزيز من مثله . قال ابن الشعّار :

,,..... وكان في بعض الأوقات يستدعى منّي الكلام ويسألني عن
 الأمر الذي سمت نفسي إلى عمله وألزمته بها . فأذكر له ذلك
 فيستحسنه ويقول لي : ,,ماقصرت، فأدعوله،، (٤١) .

ويزيد في أهميّة الكتاب أنّ جُلّ اعتماد ابن الشعّار في تأليفه لم
 يكن على التّنقل . بل كان إمّا على العيان والمقابلة الشّخصيّة وإمّا على

السَّماع مَمَّن قابل الشَّاعِرَ مثل ولده أو أحد أقاربه أو الثَّقَات من العلماء مثل ابن المستوفى، وابن العديم وابن الدَّبِيثى والوزير القفطى وغيرهم . ولذلك قلَّما تخلو ترجمة من قوله :
 ,,رأيتُه، أو ,,شاهدتُه، أو ,,أنشدنى، .

أو مثل قوله :

,,أنشدنى فلان من لفظه وحفظه قال : أنشدنى الشَّاعر، . وقد أشار الى هذه الميزة فى مقدِّمة الكتاب حيث قال :
 ,,وقد وسمتُ هذا الكتاب ,,بقلائد الجمان فى فرائد شعراء هذا الزَّمان، ، أعنى بذلك زمانى ومن أدركه من الشعراء عيانى، (٤٢) .

وأحيانا يعتمد على ما حصل له بخطِّ يد الشاعر كما قال فى ترجمة أبى الحسن الموصلى، علىَّ بن ابراهيم بن علىَّ :
 ,,أنشدنى لنفسه وكتب لى بخطِّه بمدينة الموصل، (٤٣) .
 وفى ترجمة أبى عبدالله السَّعدى محمد بن عمر :
 ,,وبعد موته صار إلى كِراسَة من شعره تتضمَّن غزلا ومدحا وغير ذلك وهى بخطِّه وممَّا نقلته من خطِّ يده قوله فى الغزل، (٤٤) .
 وفى ترجمة يحيى بن المقدم البطائحى :
 ,,رأيت ولد يحيى فاقتضيته شيئا من شعر أبيه فقال هو شيخ كبير قد ناهز التسعين ولم يقدر على المجيئ . فبعد أيام سيّرلى كراسين من نظمه، (٤٥) .

أما الثَّقَل عن تصانيف الآخرين فهو قليل جدًّا فى ,,عقود الجمان، وأكثره أيضا نقلٌ عن الكتب التى شاهد ابنُ الشَّعَار أصحابها وتبادل معهم أطرافَ الحديث مثل ,,تأريخ اربل، لابن المستوفى و ,,تأريخ حلب، لابن العديم وبعض مصنِّفات ابن الدَّبِيثى . ثم لا يكون هذا الثَّقَل أيضا مجرد نقل دائما . بل يكون، غالبا، تحاورًا مع صاحب

الكتاب و الكتاب حاضر ، فيقرأ جزءاً منه أثناء الكلام ، فيقيده ابن الشعار . نجده ، مثلاً ، يقول في ترجمة أحمد بن علي بن أبي معقل المهلبى :

«حدثني القاضي الامام ابو القاسم عمر بن أحمد الفقيه الحنفى المدرس بحلب أيده الله تعالى فى تاريخه الذى صنّف لحلب المحروسة ... » (٤٦) .

كما أنه أوما الى «مجموع» لشيخ الشيوخ عبد الله بن عمر الجوينى تاج الدين ابن حنوية دون أن يذكر الاسم (٤٧) . ويغلب على القياس أنه كتاب « الرحلة المغربية» (٤٨) ، وأنه كان موجوداً بين أيديهما أثناء الحديث ، ولذلك اختلف لفظ ابن الشعار عن لفظ الذهبى فى تاريخه (٤٩) ، بعض الاختلاف . فإنّ الذهبى اعتمد على مجرد النقل من الكتاب وابن الشعار سمعه من المصنف مشافهة ثم علّقه فى «عقود الجمان» .

وقصارى القول إنّ التّقلّ المجرّد فى «عقود الجمان» نادر . ويشتمل أكثره على الخبر المباشر . وهو مع ذلك مفصّل تفصيلاً لا يكاد يجاريه فيه كتاب آخر من ذلك العصر فى موضوعه . أنظر مثلاً كيف ذكر تفاصيل لقائه الشيخ أبا الحسن على بن محمد السخاوى قال :

«وحين دخلت دمشق المحروسة قافلاً من مدينة السلام فى شهر ذى الحجّة سنة تسع وثلاثين وستمائة ، سألت عن الشيخ أبى الحسن هذا . فقيل لى إنّّه حىّ يُرزق يفيد الناس ويغشى مجلسه المستفيدون وأهل الفضل والأدب وأوقاته مستغرقة بالمستغلّين والطلبة ، ويزدحمون عليه ولم يتفرّغ البتّة الاّ فى داره فقصدتُ منزله وهو بسفح جبل قاسيون ومعى قصيدة من عمله فى النبىّ صلى الله عليه وسلّم ومقطوعة أخرى من انشائه . فدخلت إليه فى مسجده بعد عشاء المغرب وهو قائم يصلّى . فلما فرغ من

الصلوة نهضت فسلمت عليه وقبّلت يده . فوجدته شيخا كبير السن قد نيف على الثمانين مطيلسا قصيرا/على زى أهل تلك البلاد المصرية . فلم تكن فى الوقت سعة للاجتماع به . فألفيته فى الطريق راكب حمار قاصد المسجد الجامع فسلمت عليه ودعوت الله فردّ علىّ وبين يديه تلميذان له يقرآن عليه شيئا من القرآن الكريم . فحين أنهى ذلك التلميذ قراءته أشار علىّ بالقراءة وابتدأت فقرأت تلك القصيدة [و] المقطوعة فى جادة الطريق ووجدته ذافهم ثابت وذهن حاضر وحسن جيّد وقت القراءة عليه - لم يسأم ولم يأخذه ضجر فى ذلك و القصيد[ة] التى نه فى مدح المصطفى سماها ,,ذات الشفاء,, وهى :

قف بالمدينة زائرا ومسلما

واشكر صنيع الدّمع فيها ان هما، (٥٠)

[٥٥ بيتا]

ويوجد فى الكتاب شئ كثير ممّا يضيئ لنا جوانب شتى من ملامح ذلك العصر لا يمكن سرده هنا . وحسبنا أن نشير الى ما اشتملت عليه ترجمة واحدة - ترجمة أبى المحاسن الشوّاء، يوسف بن اسماعيل-من الشعر فى الغلمان بقلعة حلب عند ايقاد النيران ليلة الميلاد وفى وصف القناديل وقد أوقدت فى المسجد الجامع وصفة الدّولاب ووصف يوم لذّة وخلاعة ووصف شمعة وفى جارية تركيّة وفيمن أهدى اليه أترجة ومقاله يصف عوّادا ويصف روضة وفى مغنّ وفى حمّام ويصف ورد الباقلاء وفى بطيخة زبّش ورؤوس قنبيط وفى صفة رمان ونارنج و آس جاءه هديّة من بعض الكبراء ووصف النرد وفى صفة نهر وفى طبّاخ وفى المنقل و النّار ويصف زورقا ركبه الملك وفى صحن حلاوة وكعك وكليجا وخشكان جاءه هديّة من بعض الكبراء وفى غلام يلعب مزيدا و غلام يكتب بالذهب على الزجاج و غلام يعذب بالنّار و غلام فهاد و غلام مغنّ

راقص و غلام نحّات البلاط ، و غلام رام ليلة الميلاد، و غلام يلعب
بالجفانة و غلام يلعب بالكرة و الصّولجان و غلام لابس نطاق فيه لؤلؤ
و جارية مطربة و جارية راقصة، و جارية في خنصرها خاتم ذبل و ما إلى
ذلك (٥١) .

ولا يخفى ما يتضمّن مثل هذه التفاصيل في طيّاتها من تصوير
ثقافيّ لذلك العصر ملوّه الحياة حتى كأننا نعيش بأنفسنا تلك الأيام
الخالية . وكيف لا وقد أنفق ابنُ الشعّار حياته كلّها يجمع أحوال
الشعراء و يكتب الأشعار سفرا و حضرا و كلّما دخل قطرا سأل عمّن به
من الشعراء (٥٢) . و حاول أن يستوعب في كتابه أكثر ما يمكن من
عددهم و أحوالهم و نماذج شعرهم حتى وإن وجد لبعضهم شعرا بلغة
أجنبيّة و فيها بعض الأبيات بالعربيّة استخلصها كما ذكر في ترجمة
أسعد بن أبي نعيم :

« رأيت له قصيدة فارسيّة و فيها هذه الأبيات بالعربيّة » (٥٣) .

و من ميزات ابن الشعّار غاية الاحتياط و الدقّة فيما يرويه . فمن
ذلك ما قاله بعد أن ساق نسب محمّد بن منير بن البطريق إلى ثمانية
آباء :

« زعم أنّه من بني عجل بن لجيم و كتب لي نسبه بخطّ يده
و ظننت فيه خلاا يجب إصلاحه فلذلك لم أرفع فيه شيئا أكثر من
ذلك من أجداده ... » (٥٤) .

و كذلك يحتاط في رواية الشعر احتياطاً المحدثين في علم
الحديث و طابع علم الحديث بارز ملموس في أسلوبه كما ذكرنا في
البحث السّابق و أمثلة ذلك كثيرة مبثّرة خلال أوراق « عقود الجمان »
قد أوردنا بعضها هناك (٥٥) و نضيف هنا ما قاله في ترجمة الفضل بن
يحيى :

،،وسألته: هل قلت شيئاً من الشعر؟ قال : ما قلت شيئاً، وأنكر ذلك - ثم بعد/عشر سنين اجتمعت بالقاضي كمال الدين فأنشدني له هذين البيتين بروايته عن ولده عنه . ولما وردت بغداد في سنة تسع وثلاثين وستمائة واجتمعت بولده أبي علي المظفر فاستنشدته البيتين فأنشدنيهما عن والده،، (٥٦) .

ونظرا الى هذه الميزات فقد اهتم الثقات بهذا الكتاب فذكروه وأحالوا عليه واقتبسوا منه في تأليفهم وقد ورد بعض تفصيله في البحث السابق فليراجع (٥٧) .

أسلوب الكتاب :

يكن جانب من أهميّة ،،عقود الجمان،، في واقعية أسلوب ابن الشعار وصراحته في معالجة الموضوع . فأسلوبه سلس نزيه ، يقصد به سرد الحقائق وقلما يلتزم السجع . كما أنه يكون صريحا فيما يروى، غير متحيز لأحد ولا متحامل عليه . يفصل بين العلاقات الشخصية وبين الحقيقة الموضوعية .

فراه، مثلا، يصور شخصية ضياء الدين، ابن الأثير أصدق تصوير بكلّ ماله وما عليه ؛ يذكر ملاطفته إياه ولكنه في نفس الوقت لا يستحي من أن يذكر زعارة أخلاقه مع الناس قال :

،،شاهدته مرارا لا أحصيها كثرة . وحضرت مجلسه أيام كان أخوه أبو الحسن حيا . وكان شيخا طويلا بهي المنظر ، حسن الهيئة واللباس . نقى الشيبة نظيف الثياب ، عليه أبهة ذوى الرياسة والجلالة . وكنت أعين من زعارة أخلاقه ونزاقته وضيق عطفه، ما يبغض به نفسه الى كل من يسمع به فكيف من يراه ويحادثه . وربما كنت أسأله عن معنى بيت شعر أو تاريخ وفاة بعض الفضلاء فيجيبني من غير انزعاج ولا غضب بأحسن جواب ،،... (٥٨) .

وكذلك نجده صريحا في ترجمة ياقوت الحموي حيث يعترف له
بالاجادة فيما ألف ولايكتف مع ذلك ما شعر به من بخله بعلمه (٥٩) .
ونجد مثلا حسنا لموضوعية نظره وصراحته في مثل قوله في
ترجمة يحيى بن خالد بن محمد القيسراني :

«ولولا سقوط شعر ابي طالب واللحن الذي يقع في اثنائه
لأوردت منه شيئا في كتابي هذا وكنت أفرد له ترجمة بذاتها لما
كان بيني وبينه من أكيد الصّحة والاجتماع . لكنّه من المهديان
الذي لا يُعتدّ به» . (٦٠) .

وقوله في ترجمة يحيى بن سعيد بن المبارك :

«وكان الناس يتجنبونه لما يرون فيه من التكبر والتّيه وشراسة
الخلق والفظاظة . وكان مع ذلك شاعرا سهلا الشعر، صاحب
قصائد ومقطّعات» . (٦١) .

وكذلك نراه في ترجمة شيخه أبي حفص عمر بن أحمد بن أبي
بكر النحوي العسفي يذكر براعته في علوم شتى فيصفه بأنه صار بين
أهل زمانه :

«..... أعلمهم بالنحو والعروض و القوافي والتّصريف واللّغة
ومعاني الشعر وسائر فنون الأدب.... حتى أقرّ له كلّ عالم..... وكان
له يد في علوم آخر كعلم الحساب والفقّه على مذهب الامام الشافعي
رضى الله عنه » .
ثم يُعقب ذلك قوله :

«..... ومع ذلك لم يكن [له] في عمل الشعر كبير يد. وكان يرفع نفسه
عن نظمه و ربّما وقع له معنى فيقول فيه أبياتا يسيرة لم يظهر عليها
طلاوة» . (٦٢) .

وغير ذلك ممّا يطول بنا ذكره (٦٣) . وفي مثل هذه الأقوال دلالة
على ميزة أخرى للكتاب . وهي أنّ ابن الشعار، في تأليف «عقود

الجمان، لم يكن مؤلفا فحسب . بل كان يجمع الى ذلك وجهة نظر ناقد أيضا . على أنه يعرف ما على المؤرخ من أعباء الموضوعية . قال فى ترجمة أبى زكريا يحيى بن المظفر البغدادي :

،،وهذا شعر من حقه أن يُطرح ولا يُسطر . لكن من عادة الذى يعانى التأريخ وجمع الأشعار أن يكتب الغث و السمين منها، (٦٤) .

ومثل ذلك قوله فى ترجمة أبى الحجّاج الفارقي، يوسف بن يوسف : ،،وهذا نظم خالٍ من المعانى . من حقه أن يلغى ولا يُثبت منه شئ . لكن قد جرت العادة لمن يعتنى بجمع الأشعار أن يكتب جيّدا وساقطا، (٦٥) .

ويتميّز ابن الشعّار فى هذه الصّراحة والموضوعية، تميّزا بارزا عن أمثال ابن خلكان . فأتنا قد شاهدنا فى ،،وفيات الاعيان، غير مرّة أنه يستحيى من ذكر مثل هذه الأشياء، ويحذفها حتىّ فى الاقتباس من المصادر الأخرى، فضلا عن أن يذكر شيئا ممّا شاهده نفسه . وقد عالجتنا هذه الظاهرة فى بحث مستقلّ (٦٦) .

مدّة التأليف :

عاش ابن الشعّار (٥٩٥ - ٦٥٤ هـ) ، ٥٩ سنة وبقى، كما قال ابن الفوطى، ،،مدّة خمسين سنة يكتب الأشعار سفرا و حضرا، (٦٧) . فمعناه أنه عُنى بجمع الشعر منذ نعومة أظفاره . ولعلّ تعاليقه ، فى أوّل الأمر، كانت مختلطة . ثمّ بدا له أن يقسمها قسمين، قسم يحتوى على تراجم الشعراء الذين عاشوا إلى نهاية سنة ٦٠٠ هـ وقسم يشتمل على ذكر الذين دخلوا فى المائة السابعة . فأكمل القسم الأوّل باسم ،،تحفة الوزراء، ، جعله ذبلا على معجم الشعراء للمرزبانى وفرغ منه فى شعبان سنة ٦٣١ هـ وقد ذكر تفصيل ذلك فى البحث السّابق (٦٨) . أمّا القسم الثّانى ، وهو ،،عقود الجمّان، ، فلم يزل يؤلّف أجزاءه إلى أواخر أيّامه .

وذكر في ,,عقود الجمان,, أن ابن الشعار اقتضى ياقوت الحموى شيئاً من شعره ويكون تقدير ذلك في حدود سنة ٦٢٠ هـ كما سبق (٦٩) و آخر سنة عثرنا على ذكرها بالضبط في ,,عقود الجمان,, هي سنة ٦٥٠ هـ . قال في ترجمة محمد بن علي بن المسلم الكندي :

,,أنشدني بحلب لنفسه في أوائل محرم سنة خمسين وستمائة..(٧٠) كما قال في ترجمة نصر الله بن هبة الله بن عبد الباقي :

,,ثم سافر إلى دمشق ولم يزل مقيماً بها إلى أن توفي يوم الجمعة ، ثامن جمادى الآخرة سنة خمسين وستمائة ...» (٧١) .

فحسابُ هذه المدة التي يمكن تحديدها بناء على مادة ,,عقود الجمان,, التي وصلت إلينا، لا يقلّ عن ٣٠ سنة .

وهنا نُنهى هذا المقال وسوف نتبعه مقالاً آخر، ان شاء الله تعالى، نورد فيه تعريفاً وجيزاً بنسخة ,,عقود الجمان,, التي وصلت إلينا و نذيله بفهرس مفصّل لماحوته هذه المخطوطة الوحيدة النادرة من التراجم، والله وليّ التوفيق وهو المستعان .

الحواشي

- (١) خورشيد الرضوى، ابن الشعار و آثاره، الدراسات الاسلامية ، مجلة مجمع البحوث الاسلامية ، الجامعة العالمية الاسلامية، اسلام آباد - باكستان
العدد الثاني ، المجلد الثاني والعشرون (ابريل - يونيو ١٩٨٧ م / رجب - رمضان ١٤٠٧ هـ) ، ص ٥٥ - ٩٨
- (٢) راجع :

ابن خلكان، أحمد بن محمد ، وفيات الأعيان و أبناء أبناء الزمان .. تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد، القاهرة ١٩٤٨ م . ٦٠ : ٣٧

اليونينسى، موسى بن محمد، ذيل مرآة الزمان ، حيدر آباد الذكن (الهند) ، ٤ / ١٣٧ هـ / ١٩٥٤ م - ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م . ١٠ : ٣٣

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، العبر في خبر من غير، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت ، ١٩٦٠ - ١٩٦٦ م . ٥ : ٢١٩

_____ . تاريخ الاسلام ، الجزء الحادى عشر، مخطوطة رقم (Laud. or 305) ، مكتبة بولدين أكسفر، ورقة ١٧٦ / ب .

- اليافعى، عفيف الدين عبدالله بن أسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة مايعتبر من حوادث الزمان، حيدر آباد، الدكن (الهند)، ١٣٣٧ - ١٣٣٩ هـ، ٤ : ١٣٦
- ابن العماد الحنبلى، عبدالحى، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، القاهرة، ١٣٥٠ - ١٣٥١ هـ . ٥ : ٢٦٦
- (٣) ابن الشعار، المبارك بن أبى بكر، عقود الجمان فى شعراء هذا الزمان، مخطوطة رقم ٢٣٢٣ - ٢٣٣٠ فى كنيخانه أسعد أفندى المنضمة الى المكتبة السلیمانية باستانبول - (استعملنا القلیمات عن مصورتها المحفوظة تحت رقم ٣٣٩ من قسم التأريخ فى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة)، ١ : ٣ / أ -
- (٤) نفس المصدر، ١ : ٢ / أ - ٤ / أ .
- (٥) ابن المستوفى، المبارك بن أحمد، تأريخ اربل، مخطوطة رقم ٤٠٩٨، مكتبة تشترىتى بدبلن (ايرلنده) ورقة، ١٨١ / أ -
- (٦) ابن سعيد، على بن موسى الأندلسى، المغرب فى حلى المغرب، تحقيق شوقى ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٥٣ - ١٩٥٥ م، ١٠ : ١٣٦
- (٧) الفصون البانعة فى محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق ابراهيم الأبيارى، دار المعارف، مصر، ١٩٤٥ م، ص ٥١ وقال المحقق فى الحاشية أن، «معجم ابن الشعار، هو تحفة الوزراء»، وذلك خطأ لأن أحمد بن مسعود المذكور توفى سنة ٦٠١ هـ ومن جاوز سنة ٦٠٠ هـ فابن الشعار لم يذكره فى «تحفة الوزراء» بل ذكره فى «عقود الجمان» - وترجمة أحمد بن مسعود موجودة فعلا فى «عقود الجمان» كما سيأتى .
- (٨) نفس المصدر، ص ٥٥، وطبع هنا فى الشطر الأول من البيت الثانى «بدارس علمه» . والتصحيح من عقود الجمان، ١ : ١٠٦ / أ .
- (٩) ابن الشعار، عقود الجمان، ١ : ١٠٤ / ب - ١٠٦ / أ
- (١٠) نفس المصدر، ١ : ٤ / أ .
- (١١) الذهبى، تأريخ الاسلام، الجزء ١١، ورقة ٣٣ / ب .
- (١٢) نفس المصدر، ورقة ١٣٣ / ب .
- (١٣) حاجى خليفة، مصطفى بن عبدالله، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، استانبول، ١٩٤٣ م ١٣٥٣ هـ كان ينبغى أن يذكر هنا أن هذا الكتاب هو نفس «عقود الجمان فى شعراء الزمان» الذى سبق ذكره (نفس المصدر، ١١٥٤)
- (١٤) ابن الشعار، عقود الجمان، ٦ : ٦ / ٢٧ / أ .
- (١٥) نفس المصدر، ٧ : ٢٤٢ / ب ..
- (١٦) BROCKELMANN, CARL, GESCHICHTE DER ARABISCHEN LITTERATUR, LEYDEN 1937, Supp. III, P-1217.
- (١٧) فؤاد أفرام البستاني (مدير)، دائرة المعارف، بيروت، ١٩٦٠ م، ٣ : ٢٦٢ .
- (١٨) راجع :
- اسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، استانبول، ١٩٥٥ م، ٢ : ٣
- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دمشق، ١٩٥٩ م، ٨ : ٨١
- (١٩) حاجى خليفة، كشف الظنون، ١١٤٩ - ١١٥٧
- (٢٠) نفس المصدر، ١٣٥٣ - ١٣٥٥

- (٢١) اسماعيل باشا البغدادي، ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بغداد، ١٩٤٥ - ١٩٤٧، ٢: ٢٣٧ - ٢٣٩.
- (٢٢) نفس المصدر، ٢: ١٠٤ - ١١٥.
- (٢٣) سركيس، يوسف اليان، معجم المطبوعات العربية والمعربة، مصر ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٨ م فهرس أسماء الكتب، حرف العين ٩٣ - ٩٤.
- (٢٤) نفس المصدر، فهرس أسماء الكتب، حرف القاف، ١٠٩.
- (٢٥) ياقوت الحموي، ارشاد الأريب الى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأديباء، تحقيق د. س. مرجليوث، مصر ١٩٢٣ م - ١٩٣٠ م، ٦: ٤٦٥.
- (٢٦) نفس المصدر، ٥: ٣٢٦.
- (٢٧) نفس المصدر، ٥: ١٠٧.
- (٢٨) نفس المصدر، ٥: ٢١١.
- (٢٩) راجع:
- حاجي خليفة، كشف الظنون، ١١٥٤.
- ابن تفرى بردى، ابو المحاسن، يوسف، المنهل الصافي والمستوفي بعد الروافي، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، القاهرة، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م، ١٠: ١١٥.
- (٣٠) حاجي خليفة، كشف الظنون، ١١٥٤.
- (٣١) نفس المصدر، ١١٥٥، ٢٠١٨.
- (٣٢) نفس المصدر، ١١٥٠.
- (٣٣) نفس المصدر، ١١٥٤.
- (٣٤) نفس المصدر، ١١٥٥.
- (٣٥) أيضا
- (٣٦) اسماعيل باشا، ايضاح المكنون، ٢: ١٠٦.
- (٣٧) سركيس، معجم المطبوعات، ٦٠٠.
- (٣٨) ابن الشعار، عقود الجمان، ٤: ٩٧/أ. ولا يوجد هذا الكلام المنقول فيما وصل الينا من «تاريخ اربل» (راجع الحاشية ٥).
- (٣٩) نفس المصدر، ١: ٢١٤/أ.
- (٤٠) نفس المصدر، ٧: ١٨٨/ب - ١٨٩/أ.
- (٤١) نفس المصدر، ٩: ٢٩/ب. انظر أيضا مايتعلق بالحاشية، ٥٨ فيماياتي.
- (٤٢) نفس المصدر، ١: ٤/أ.
- (٤٣) نفس المصدر، ٥: ٥٧/أ. وراجع أيضا ١٠: ١٠٣/ب، حيث يقول في ترجمة يعقوب بن يوسف: «أشدني كثيرا من شعره وكتب لي منه كراسة بخط يده الا أنني فقدتها وعدمتها...»
- (٤٤) نفس المصدر، ٧: ٢١٠/أ.
- (٤٥) نفس المصدر، ١٠: ٤٨/ب.
- (٤٦) نفس المصدر، ١: ١٤٠/أ.
- (٤٧) نفس المصدر، ١: ١٩/ب - ٢٠/أ.
- (٤٨) راجع ابن سعيد، القصون البانعة، ص ٢٩، ٣٩.

- (٤٩) الذهبي . شمس الدّين محمّد بن أحمد ، تاريخ الاسلام (من سنة ٥٨١هـ الى ٦١٠ هـ) مخطوطة رقم (OR. 52 ORDER SCH. 4806) بالمتحف البريطاني، لندن . ورقة ٢٧٠ أ - ب . وقارن بعقود الجمان ، ١ : ١٩ ب - ٢٠ / أ .
- (٥٠) ابن الشعّار، عقود الجمان ، ٥ : ١٢ / أ - ب .
- (٥١) نفس المصدر، ١٠ : ١٢٦ ب - ١٧١ / ب .
- (٥٢) راجع نفس المصدر، ٣ : ١ / ٧ أ حيث يقول : ,,فلما نزلنا واسط وسألت عن من بها من الشعراء فذكر لي بأن أبا السعود هذا لحق باللطيف الخبير,, .
- (٥٣) نفس المصدر، ١ : ٤ / ٢٧ ب - ٥ / ٢٧ أ .
- (٥٤) نفس المصدر، ٧ : ١١٦ / ب .
- (٥٥) خورشيد الرضوى، ابن الشعّار و آثاره، ص ٤٧ .
- (٥٦) ابن الشعّار، عقود الجمان، ٥ : ٢٨١ ب - ٢٨٢ / أ
- (٥٧) خورشيد الرضوى، ابن الشعّار و آثاره، ص ٥٥ ، ٨٢ (الحاشية ، ٢٠١) .
- (٥٨) ابن الشعّار، عقود الجمان ، ٩ : ٢٩ / ب . راجع أيضا مايتعلق بالحاشية ، ٤١ سابقا .
- (٥٩) نفس المصدر، ٩ : ١ / ٧ أ
- (٦٠) نفس المصدر، ٩ : ٢١٥ / أ - ب .
- (٦١) نفس المصدر، ٩ : ٢٢٢ / أ .
- (٦٢) نفس المصدر، ٥ : ١٦٨ / أ - ب .
- (٦٣) راجع مثلا، نفس المصدر، ٦ : ١٥٩ / ب ، ٢٤٦ / أ ، ٢٨٥ / ب .
- (٦٤) نفس المصدر، ١٠ : ٤٣ / أ
- (٦٥) نفس المصدر، ١٠ : ٢٧٠ / أ
- (٦٦) راجع :

KHURSHID RIZVI, AN IDIOSYNCRASY OF IBN KHALLIKĀN,

QUARTERLY RESEARCH JOURNAL,

FACULTY OF ISLAMIC & ORIENTAL LEARNING,

UNIVERSITY OF THE PUNJAB, LAHORE

(PAKISTAN), Vol. 2. No. 1.

- (٦٧) ابن الفوطى ، عبدالرزاق، كمال الدين ، تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب ، تحقيق عبدالقدّوس القاسمى فى ,,اورنتيل كالج ميكزين,,، لاهور، ١٩٣٩ - ١٩٤٧ م ، ملحق فبراير ١٩٤٠ م ، ص ٢٤١ .
- (٦٨) خورشيد الرضوى ، ابن الشعّار و آثاره ، ص ٨٤ - ٨٧ .
- (٦٩) نفس المصدر، ص ٥٧ - ٥٨
- (٧٠) ابن الشعّار، عقود الجمان ، ٧ : ٢٠٨ / أ
- (٧١) نفس المصدر، ٩ : ٤٩ / ب، وراجع أيضا : خورشيد الرضوى، ابن الشعّار و آثاره، ص ٩٣ (الحاشية ١٤٦) .